تفسير ابن كثير

يَا بَنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي
الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ^ج إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم ; ليمثلها الناس ويقتدوا بها ، فقال

: (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) أي : إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال

حبة [من] خردل . وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله : (إنها) ضمير الشأن

والقصة . وجوز على هذا رفع (مثقال) والأول أولى . وقوله : (يأت بها الله) أي :

أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ، وجازى عليها إن خيرا فخير ، وإن

شرا فشر . كما قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن

كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء : 47] ، وقال تعالى : (

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة : 7 ، 8] ، ولو

كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء ، أو غائبة ذاهبة في أرجاء

السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال

ذرة في السماوات ولا في الأرض; ولهذا قال : (إن الله لطيف خبير) أي : لطيف العلم ، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت (خبير) بديب النمل في الليل البهيم . وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله : (فتكن في صخرة) أنها صخرة تحت الأرضين السبع ، ذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك ، ويروى هذا عن عطية العوفي ، وأبي مالك ، والثوري ، والمنهال بن عمرو ، وغيرهم . وهذا والله أعلم ، كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ، ولا تكذب ، والظاهر - والله أعلم - أن المراد : أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة ، فإن الله سيبيدها ويظهرها بلطيف علمه ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ، ليس لها باب ولا كوة ، لخرج عمله للناس كائنا ما كان " .